يظل الشرق السوفيتي حتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عالماً ثرياً للدراسات الفكرية والعلمية ، وهنا محاولة ترصد تحولات هذا العالم .

الشرق السوفيتي باعتباره مشكلة استشراقية

ف . ف . ناؤمكين / س . أ . بانارين

ترجمة :

أنور محمد إبراهيم

فاستند المستشرقون الروس الأوائل وعلى رأسهم المختصون في اللغة والأدب على نوع معين من النصوص وهي بالتحديد الأعمال الكبرى لآداب الشرق ، تلك الأعمال التي ركزت اهتمام البحث على الظواهر الثقافية بالدرجة الأولى ونادراً ما ظلت هذه الآثار المكتوبة ملكاً لشعب واحد وإن الارتكاز على النصوص قد ساهم في فهم الشرق باعتباره جماعاً للحضارات المحلية التي تميزت كل منها بوحدة ثقافية . ولم تكن لحدود الدول المعاصرة للمستشرقين الروس أي دور في تصوراتهم عندما شرعوا في تحديد موضوع أبحاثهم .

بعد عام ١٩١٧ جرى تجزيء موضوع علم الاستشراق فانقسم الاستشراق السوفيتي إلى ثلاثة أشكال . أولا ، على مستوى الحفاظ على الحياة اليومية المميزة — أصبح من الضروري أن يكون ذلك الأمر موضوعا لعلم الإثنوجرافيا . ثانيا ، على مستوى الطريق التاريخي الخاص الذي تم انجازه [هكذا كان التصور السائد] فكان يجب أن يكون ذلك موضوعا لتاريخ الاتحاد السوفيتي وأخيراً الثقافة . على أن الأمر لم يقتصر

على مجرد تقسيم علم الاستشراق إلى « أقانيم ثلاثة » : الحياة والتاريخ والثقافة في الاتحاد السوفيتي وإنما جرى فرض حدود دولة الاتحاد السوفيتي قسراً باعتبارها احداثيا غير زماني بالعامل الأخير وهو الثقافة .

إن ما حدث من تجزيء للبناء الاستشراقي وفقاً لنظم ضعيفة تربط بين أجزاء التعليم وتنشيطه وبناء المساكن للجماهير والهجرة للعمل إلى جانب الظواهر والعمليات الأخرى — التي لم تكن واضحة للعيان في أول الأمر — قد وسعت من دائرة مصادر الإدراك التي يعول عليها في فهم واقع الاستشراق المعاصر وأعادت ترتيب بناء هذا الواقع . ولكن الذي حدث إبان هذه العملية أن الحصول على المعلومات الصحيحة أصبح من القلة بمكان بدلا من الزيادة التي كانت متوقعة . إن

مقالات الصحف وخطب رجال الحزب والدولة والنشرات الإحصائية الرسمية وغيرها لم تعد تكتب بلغة الثقافة وإنما بلغة أخرى هي لغة التعاويذ الايديولوجية . لقد جعلت هذه اللغة من الحياة مثالاً معيارياً لكنها سلبتها المضمون الواقعي . كان بمقدور الاستشراق الكلاسيكي أن يستوعب جزءاً ما من النصوص التي كتبت بهذه اللغة دون أن يغير من طبيعتها لكن السواد الأعظم من الناس اضطر للتنازل عن هذه اللغة لرجال الاقتصاد والاجتماع والمختصين في تاريخ الاتحاد السوفيتي والإلحاد العلمي إلى آخره . لقد حاول كثير من المستشرقين باخلاص أن يطرحوا الحقائق على أن الذي اعترض طريقهم بشدة كان معرفتهم السطحية بلغات الشرق وثقافاته إن لم يكن عدم معرفتهم بها نهائيا ناهيك عن التربية والرقابة الحزبيتين .



ستالين بريشة بيكاسو
١٩٥٣

لقد لعبت التصورات الأيديولوجية التي نشأت بعيدا عن العلم الدور الرئيسي في تمزق الاستشراق وفي اغتراب المختصين فيه عن الثقافة الأمر الذي كان لابد أن ينعكس حتما على عمل العلماء في مختلف التخصصات وقد حاول هؤلاء العلماء الخروج إلى مجال البحوث التاريخية الذي بدا لهم أرحب لكن هذا الخروج لم يكن سوى وهم . فعندما شن ستالين حربه ضد الكوزموبوليتانية اضطر علماء الاثنوجرافيا وتاريخ الاتحاد السوفيتي إلى اعادة كتابة الماضي وفق حاجات الحاضر . وقد قيل آنذاك الكثير عن المغزى التقدمي لاتحاد شعوب الشرق وروسيا وتم تفسير هذا الاتحاد في الواقع بوصفه إعداداً مسبقا للشرق حتى يستطيع تصور النظرية الماركسية الجامعة وكذلك « الاشتراكية الحقيقية » .

لم يتمكن ممثلو علم اللغة والأدب الكلاسيكي هم أيضا من الاختفاء في أعماق الزمن فقد تعين عليهم عند دراسة آداب الشرق أن يبحثوا فيه عن أي شيء ينبيء بمستقبل تتغير فيه شعوب الشرق في إطار الاتحاد السوفيتي . وحيث أن تحليل الآثار الأدبية نفسها لم يعط مثل هذه الأدلة المقنعة فقد لجأوا إلى استخدام المعطيات الخاصة بمحل الميلاد والأماكن التي عاش فيها هذا الكاتب أو ذاك وبفضلهم تم تسجيل كل تفاصيل الثقافات الخاصة بالجمهوريات السوفيتية مستقبلاً ، تلك الثقافات التي أبدعت باللغات العربية والفارسية . وكانت المحصلة في النهاية

أن الجزء الأكبر والأفضل من التراث الثقافي فيما قبل الاتحاد السوفيتي لهذه الشعوب التي كانت تضمها قبل ذلك حضارة واحدة والتي فرقتها في القرن العشرين الحدود السوفيتية السحرية قد ضم بحزم ليدخل ضمن حدود الاتحاد السوفيتي القادم . وقد جرى ذلك كله لا بتأثير الإحساس الشرعي للأذربايجانيين والطاجيك والشعوب الأخرى بالفخر لانتمائهم إلى ثقافتهم القديمة بل على العكس تماماً جرى بهدف وضعهم في مواجهة هذه الثقافة القديمة ومواجهة هذه الثقافة ومواجهة من يواصل تقاليدها في الشرق غير السوفيتي وسعياً وراء توجيه فكرة اصطفاء لا لروسيا وحدها وإنما للإمبراطورية بأكملها فإن هذه المواجهة وزعت هذه المهمة على الشعب الروسي وعلى « إخوته الصغار » .

الشرق السوفييتي باعتباره مشكلة استشراقية

في الستينيات والسبعينيات نما الاتجاه البحثي الجديد في البناء الاستشراقي — الدراسات السوفيتية « للعالم الثالث » ، جنبا إلى جنب مع الاقسام الكلاسيكية الأخرى . ركزت القوى العلمية الضخمة قواها لدراسة الوضع السياسي المعاصر وعمليات التحديث الاجتماعي والتطور الاقتصادي في دول الشرق النامية لكن المختصين في الدراسات المعاصرة لم تتح لهم إمكانات جمع المعلومات الأولية بطريقتهم كما لم تجر أية بحوث ميدانية خاصة خارج حدود الاتحاد السوفيتي بالإضافة إلى أن العلماء السوفيت لم يكونوا يشاركون في المشروعات الدولية . بذلك لم يبق إلا الاكتفاء بالمعلومات الشحيحة ونتائج الاحصاءات والبحوث الأجنبية وخاصة المراجع العلمية الغربية في واقع الأمر فقد اعتمد العلماء السوفيت من جديد على نصوص الثقافة الغربية فقط لا الثقافة الشرقية .

وبالاضافة إلى ذلك فإن « دراسات العالم الثالث » الخاصة بنا كانت محدودة بأطر « الدوجمات الماركسية » ووقعت في شبه عزلة عن العلم العالمي . إن المحاولات التي شابها الخوف لعدد من العلماء السوفيت والرامية لتأصيل بعض من الافكار والمقولات الأجنبية الشاملة ذات القيمة الرفيعة لم تستطع أن تبتعد بعلم الشرق المعاصر عن دائرة الاستشهادات الفاسدة والصيغ الايديولوجية المرذولة .

ومع ذلك فإن إشكالية البحوث الاستشراقية قد اتسعت ، فمع السيطرة الموجودة للنظرية التوليدية والطرق الموضوعية اتخذت الخطوات الأولى نحو دراسة الإنسان في الشرق وأصبح موضوع الدراسة مرة أخرى هو الخصائص الجوهرية لمختلف حضارات الشرق ، وانتشر على نطاق واسع مفهوم صعوبة الواقع الشرقي وعدم خضوعه للنماذج الأوروبية أو الانماط الايديولوجية وأخيرا ظهرت المفاهيم التي فسرت تجربة المدارس العلمية الأجنبية على نحو إبداعي . على أن البحث العلمي كاد أن يتوقف عند تخوم الحضارة الاشتراكية . هكذا لم يبق سوى قدر قليل ، وإن كان مجزءاً ، من إمكانية المراقبة المباشرة لواقع الحياة دون أن يعوقها النص القادم من ثقافة أجنبية . لقد أعاق سعي كل مدرسة مكونة من علماء قومية من القوميات فرض احتكارها لدراسة « جمهوريتها » أعاق الادراك الموضوعي لواقع الشرق السوفيتي . زد على ذلك أن هذا السعي قد اشتد أواره

فى تلك الفترة التى ساد فيها اللغط حول مجتمع تاريخى جديد هو « الشعب السوفيتى » .

لقد اختار أيديولوجيو موسكو — آنذاك — الاتجاه نحو تغريب « الأمم الاشتراكية » للشرق عن حضارات الماضى الإقليمية متعددة الأجناس انطلاقاً من « عدم قبول » هذه الحضارات فوراً لعدد من المعايير . إن التباعد التام للشعوب عن ماضيها هو الشرط الأساسى لخلق « إنسان جديد » — وتطبيقاً على شعوب الشرق السوفيتى اتخذت هذه المقولة باعتبارها الشكل الأساسى لعزل هذه الشعوب داخل الفراغ التاريخى .

لقد تم اجتثاث صفحات من الماضى من جذورها وتم تحويل صفحات أخرى إلى ورق ممسوح لتعاد عليه من جديد كتابات دعائية مشوهة وثالثاً تم إضافة سطور جديدة على نصوصها المكتوبة فعلاً بحيث تتحول إلى قائمة المآثر الثقافية الابداعية . الحقيقة أن غالبية هذه المآثر قد جرى احترامها بالفعل ، ولكن حتى فى هذه الأحوال التى كانت تبدو على وجوه الذين حققوها سمات قومية فإن الإنجاز والعبقرية كانا يعرضان باعتبارهما قد تحققا فى عالم إثنى مغلق وإنما فى فضاء الحضارات المحلية الكوزموبوليتانية المفتوحة .

على أن العبث بالتاريخ فى نهاية الأمر لم يعد تحت سيطرة الذين بدأوه . لقد أدى إلى ظهور وهم فى الجمهوريات بعظمة الماضى الذى لا ينطفىء ، بل وأصبح هذا الماضى يقف على النقيض تماماً من الحاضر الذى ضاع فيه الوعى القومى على نحو مؤلم على يد النصير المتسامح « الأخ الأكبر » .

إن النغمة التى كنا نقابلها أحياناً ، نغمة تفوق روسيا على الشرق كانت متزنة قبل الثورة على مستوى الصفوة — فى قدرتها على الدخول فى عالم ثقافات الشرق . وعلى مستوى الشعب البسيط — فى قدرته على العيش فى سلام جنباً إلى جنب مع الآخرين يأخذ من عاداتهم ويأخذون من عاداته على مدى عقود « صداقة الشعب » كان لانهيار الثقافة الخاصة بالروس أثر على قدرتنا لا على الفهم بل على مجرد ملاحظة معايير الثقافة نفسها . فى الأربعينيات والخمسينيات حيث كان البؤس يعم البلاد بعد الحرب وكذلك كبت الأفكار الحرة من جانب موسكو ترددت تأكيدات ملحة توحى بأن كل شىء على الأرض سواء فى الماضى أو الحاضر كما لو كان من منجزات العبقرية الروسية . كان قد مضى عقد ونصف أو عقدان على وجوه الجمهوريات وأصبح تعويضها عن الحاضر الغاضبة منه يتم بالأحاديث الشابهة عن عظمة ماضيها .

إن مضاعفة الأساطير المهدئة هى العلامة الأكيدة على سقوط الوعى فى ظروف سيئة . وحتى يتم الدفاع عن الهوية سارع الوعى بتحويل قوقعة القومية ليتخذها درعاً له . ربما كان من الممكن أن يكون هذا الأمر مفيداً للقومية ضعيفة ولكننا سننظر إليه من وجهة نظر محددة — كيف سيؤثر هذا التقوقع على المثقفين . علينا هنا أن نعترف أن تأثيره الضار على وظائف الإبداع الثقافى لن يكون بنفس سوء الظروف السيئة التى ينبغى الوقوف ضدها . إن التعطش لإثبات الذات قومياً قد حجب السعى نحو الحقيقة . وقد تكررت الحادثة نفسها فى الشرق السوفيتى فبقدر ماظل الحظر هنا سارياً على موضوعات البحث التى تثير قلق المركز — إضافة إلى أن السلطات فى الجمهوريات وهى تسير على هدى مصالحها العملية وتحيزها العقائدى وضعت من نفسها حدوداً أخرى على البحث — بقدر ما كانت المحصلة النهائية تزييفاً مستمراً للواقع . ولهذا — بالطبع — كان من غير المسموح به لأى نظرة من الخارج أن تقوم بمفردها باكتشاف الاتجاهات الحقيقية لتطور الجمهوريات . على أنه وعلى الرغم من الرقابة المزدوجة والحتمية الإقليمية للمدارس العلمية المحلية فى دولة شمولية فإن المثقفين العاملين فى مجال العلم فى الشرق السوفيتى الذين أصبح طريق الإبداع أمامهم يزداد صعوبة أكثر من صعوبته أمام علماء موسكو ولينينجراد ، أخذوا على أية حال فى جمع مواد جديدة ودراستها وكثيراً ماسعوا للنفاذ إلى الحقيقة .

يمكن القول أن سنوات السلطة السوفيتية كانت زمناً للهروب العلمى الشامل فبعض الدارسين انغلق على دراسة التقاليد الكلاسيكية وبعضهم ذهب فى بحثه إلى الهجرة إلى موضوعات تخرج عن حدود الاتحاد السوفيتى وقد ساعدت نزعة الهروب Escapism على بلوغ الاستشراق السوفييتى مستويات رفيعة واستيعاب مجالات جديدة لم يطرقها السابقون . ولكن والحق يقال فمنذ بداية البيريسترويكا انطفأ بريق هذه الإنجازات بسرعة .

إن النظرة السطحية لمشهد الشرق السوفيتى فى عصر البيريسترويكا لا توحى بالتفاؤل هنا — خلافاً لأى مكان آخر فى الاتحاد السوفيتى —

تتمتع الأبنية السلطوية القديمة والتدرج الغاير للأوضاع الاجتماعية بالقوة والمنعة . هنا — على ما يبدو — الأمور أبعد ما تكون عن اقتصاد السوق ودولة القانون والمجتمع المدنى واستقلال الفرد . هنا يوجد تراكم فى معدلات زيادة السكان ويزداد اعتماد ميزانيات الجمهوريات على الإعانات المالية للمركز وتظهر الحركات والأحزاب ذات التوجهات القومية والأصولية وتشتعل الصراعات العرقية التى كثيراً ما تأخذ اشكالا متطرفة .

على أن التحليل المتأنى يسمح بطرح تشخيص أقل كآبة ففى الشرق السوفيتى تتزايد عمليات مشجعة وإن كانت تتم حقيقة ببطء وصعوبة فالسلطات فى الجمهوريات كما هو واضح تقوم بتغيير تراث الشمولية استناداً إلى تجارب الشرق غير الروسى حيث نماذج لسلطة أكثر مرونة ويبحث المثقفون عن تلك الاشكال التى يمكنهم أن يصبوا فيها الوعى القومى الناهض . إن مجال البحث هنا عريض للغاية وفيه يتسع المكان لفكرة التقارب مع شعوب ليس لديها سمات حضارية مشتركة . إن سلوك الجماهير يتسم بالازدواجية فتارة تجدها تعطل الأفكار التى لا تقبلها وذلك باتخاذ مواقف سلبية تجاهها وتارة تجدها أحيانا تنفجر تلقائياً أو بتأثير فعل استفزازى . من ذلك نكتشف كيف أن لدى الجماهير ميلاً كبيراً نحو الأهداف الجامحة وكيف أن لديها كذلك القدرة الأكيدة على التنظيم الذاتى والتصور العقلانى لمصالحها . كل هذا يقدم لنا كيف بدأ تجاوز شعوب الشرق السوفيتى للاقتراب المزدوج — من الإبداع التاريخى المستقل فى الحاضر ومن التراث الثقافى الذى تراكم فى مجرى حضارى واحد فى الماضى .

الشرق السوفيتى باعتباره مشكلة استشراقية

إن الشرق السوفيتى قد عادت له حقوقه فى الاستشراق ومن ثم فهناك ضرورة لحل العديد من القضايا ومن بينها تحديد موضوعات البحث بدقة . على أن غياب الحدود الفاصلة بين مجالات الثقافة لا يجب بأى حال من الأحوال أن يقلل من مغزى أى من هذه المجالات . وفى الشرق غير السوفيتى توجد هناك العديد من المجالات الواقعة على الحدود بين مجالين والتى تقترب جدا من الثقافة الأوروبية . بالطبع يظل السؤال قائماً بشأن بأى قدر يمكن لشعوب وثقافات الجزء الأوروبى من روسيا أن تكون موضوعاً لبحوث الاستشراق بما فى ذلك شعوب تتارستان وبشكيريا . زد على ذلك أن انبعاث الوعى الذاتى القومى والسعى « للعودة إلى المنابع » والبعث الدينى كلها أمور تعمل لصالح الاستشراق أما تلك الاشكال الجديدة من أشكال تفاعل الثقافات والتى لوحظت لدينا اليوم فإنها تتطلب طريقة متحضرة لدراستها باعتبارها ظاهرة وخبرة اكتسبها علم الاستشراق . فى الوقت نفسه فإن أصالة كل شعب يعيش فوق أراضى الاتحاد السوفيتى ومن بينها تلك الشعوب التى تضم بين جنباتها سمات الأوروبيين وسكان الشرق تدفعنا لدراسة مشكلات المرحلة الراهنة وتطورها دراسة مقارنة : إن المقارنة مع المشكلات المشابهة لحياة شعوب الشرق غير السوفيتى يمكن أن تكون مثمرة وتساعد فى فهم عدد كبير من الظواهر المعقدة . ومن أجل هذا الظرف بالتحديد تم فى معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى

إنشاء مجموعة تضم علماء من مختلف الاقسام هدفها الدراسة المقارنة للشرقين السوفيتي وغير السوفيتي وقد بدأت المجموعة عملها على نحو فعال والجزء الاكبر من مواد هذا العدد من المجلة كتبه إما اعضاؤها مباشرة أو الاخصائيون المتعاونون معها . وعلى مدى عام — من ابريل ١٩٩٠ إلى مايو ١٩٩١ — احرزت المجموعة عدداً من النتائج وتم تحديد اتجاهات البحث :

(أ) الانتظام فى عمل ، مستوى المعيشة وبيئة السكن
(ب) التنظيم الاجتماعى للمجتمع
(ج) دور الإسلام فى الحياة الاجتماعية السياسية
(د) العمليات الإثنوسياسية .

وضع أيضا برنامج للبحوث المقارنة وخطة مستقبلية لإصدار مجموعة مقالات وقد تم إعداد المجموعة الاولى من هذه المقالات وقد روعى أن تكون على نحو يستعرض بشكل تميزى المجال الواسع للمشكلات بالإضافة إلى أن هذه المشكلات تتم دراستها سواء بالمقارنة بتجربة « الشرقين » أو على نحو مستقل يكتفى بدراسة مواد الشرق السوفيتى بأسره أو طاجيكستان بمفردها . وقد بدأت المجموعة العمل فى إعداد مجلد آخر يتعرض لمشكلات « العرقية والدين والسياسة فى الشرق » كما تقوم بتنظيم مؤتمر علمى تطبيقى باسم « المصالح العرقية الإقليمية والقومية العامة فى الاتحاد السوفيتى : التفاعل والتناقضات ومشكلات المواءمة » . تعمل وتتعاون مع هذه المجموعة العلماء والمؤسسات العلمية فى كل من موسكو ولينينجراد وطشقند وألما — آتا وإيركوتسك وأولان أودى إلى جانب عدد من المتخصصين الأجانب فى الشرق السوفيتى .

فى شهر مايو من العام الحالى جرت فى اجتماع مكتب قسم مشكلات الاقتصاد العالمى والعلاقات الدولية التابع لأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى مناقشة مسألة دراسة الشرق السوفيتى فى معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى . ونتيجة لتبادل الآراء تم التوصل إلى اجراءات محددة موجهة إلى تنشيط البحوث فى هذا المجال من مجالات علم الاستشراق .

تجدر الاشارة هنا إلى أن الفصل المصطنع بين الشرق السوفيتى والشرق الاجنبى [غير السوفيتى] وكذلك إبعاد شعوب الشرق السوفيتى عن تراثها أمور تعوق استيعاب علم الاستشراق وكذلك موضوعات التسلسل التقليدى . إن الاستثناء الفعلى من دائرة مصادر الآثار الثقافية الهامة [خاصة تلك الآثار التى كتبت باللغات المحلية بالأحرف العربية] افقدتنا إمكانية دراسة التراث التاريخى لشعوب الشرق السوفيتى بوجه خاص فضلا عن أنه وضع العراقيل أمام دراسة المشكلات الاساسية للثقافات الشرقية فى الوقت الذى كان من الممكن أن تكون فيه هذه المصادر ذات فائدة كبيرة . يكفى أن نذكر بصورة عملية الأعمال المجهولة لكثير من المستشرقين مثل أعمال المفكر التترى مرجيلى [مرغنى] .

من المستبعد الا يكون الجميع على علم بأن المراكز العلمية فى الغرب وعلى رأسها المراكز العلمية فى الولايات المتحدة تولى فى الوقت الحاضر اهتماماً بالغاً بدراسة الشرق السوفيتى أكثر مما يحدث فى موسكو ولينينجراد وغيرها من المراكز العلمية فى روسيا [ونحن نعنى هنا ليس فقط البحوث الاستشراقية وإنما كل ما يجرى فى معاهد أكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفيتى فى المركز] . وتكتسب الأبحاث الخاصة بآسيا الوسطى فى الولايات المتحدة الأمريكية اليوم أولوية خاصة الامر الذى يمكن تفسيره بالطبع فى المقام الأول وفقاً للاعتبارات السياسية وأيضا لأن دراسة مشكلات هذه المنطقة لم تكن مطروحة فى الولايات المتحدة فى الماضى بصورة عملية . وها قد بدأ تبادل الخبرة العلمية يؤتى ثماره الأولى [خذ مثلا المؤتمر الذى ضم علماء معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية والعلماء الامريكيين وذلك فى كل من دارتموث وواشنطن فى ابريل من عام ١٩٩١] .

من الأمور المعوقة جزئياً لتطور التعاون بل والبحث الفعال للموضوعات العلمية ذاتها هو أن عددا كبيرا من المقولات والمفاهيم المتفق عليها فى الغرب والتى أثبتت نجاحها ما تزال غير مستكملة لدينا . خذ ، على وجه التحديد ، تلك المقولة الهامة التى تستخدم على نطاق واسع فى الأعمال العلمية الغربية الخاصة بالشرق السوفيتى والأجنبى وهى مقولة الهوية . منذ بدأ الاستشراق السوفيتى فى استيعاب أدوات البحث الجديدة أحرز نجاحاً كبيراً وخاصة فى مجال الشرق السوفيتى .

إن أى نظرة ولو كانت سطحية للواقع المعاصر للشرق السوفيتى كافية لكى ينتابنا الشك فى شرعية تطور بناء

الاستشراق فى الاتحاد السوفيتى فى مختلف الاتجاهات وبمختلف النظم . لقد انطلق كتاب المقالات الواردة فى هذا العدد من اقتناع مشترك مفاده أن زمن الهروب العلمى والتشتت قد ولى . بداهة فإن من الضرورى فى المقام الاول أن نبعد عن العلم الحقيقة — الرمز ، علامة الاغتراب ، اللعنة التى حلت بعدد من أجيال المستشرقين ، إحداثى الحدود المقدس . عندئذ فقط يمكن أن نصل إلى حل لأهم قضايا الاستشراق الوطنى ، ولكى يتحقق ذلك فإن المؤسسات العلمية المركزية يجب أن توحد جهودها مع جهود نظيراتها فى الجمهوريات وأن يتم الجمع بين الشعور القومى وخبرة المدارس العلمية السوفيتية والمعرفة العلمية العالمية . إن هيبة الاستشراق السوفيتى الكلاسيكى تكمن فى الثقافة الرفيعة عند العمل بالنص والامتلاك الفائق للغات الشرقية والحساب الدائم وفقاً لقانون موحد للثقافات فى إطار حضارة واحدة وكلها أمور يجب أن تكون مغروسة فى قلب كل المختصين فى العلوم المعاصرة وهؤلاء عليهم استيعاب أعمال الاستشراق الكلاسيكية إلى جانب الموضوعات والمناهج والمصادر غير التقليدية بالنسبة لهم والتعرف التام على متغيرات الشرق المعاصر وهى أمور ضرورية للغاية من أجل فهم أفضل لإمكانات التطور التى ظلت مختفية داخل ثقافات الشرق منذ لحظة تكونها . يجب أيضا تجربة الإعداد النظرى « للمختصين فى دراسات العالم الثالث » على مناطق الشرق السوفيتى فسوف يعطى هذا العمل التجربة التفسير العلمى لها . وأخيرا فإن إدخال الشرق السوفيتى من جديد فى مجال البحوث الاستشراقية يتطلب إقامة قاعدة للمصادر عن طريق الملاحظة المباشرة . عندئذ فقط سوف نصل إلى فهم متعدد الجوانب اكثر عمقا لما يحدث فى الشرق السوفيتى وسوف يتسنى لنا أن نضع وحدته الحقيقية مع الحضارات الشرقية التى تمت له بصلة القربى فى صياغة علمية . كما اننا سنكفل تكاملاً جديداً لبناء الاستشراق الذى لم يحدث له انهيار إطلاقاً تحت ضغط الظروف السياسية ومطالب النمو .■